

دراسات استشرقية

فصلية تعنى بالدراسات الإسلامية في معرضها وفكرها



العدد الثاني والثلاثون - خريف - ٢٠٢٢م / ١٤٤٤هـ

الرقم الدولي ١٩٢٨-٢٤٠٩ ISSN:
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق الوطنية العراقية ٢٤٦٦

● الاستشراق ومنظومة الفكر الغربي

حسن أحمد الهادي

● الفعل الترجمي الاستشرقي للقرآن الكريم

أ.د. حماد بن عبد الله

● الرسالة المحمدية وارتباطها بالقرآن الكريم في عيون رودي بارت

د. سارة دبوسي

● منهج المستشرق الألماني برجستراسر في الدراسات القرآنية

عائشة جنان

● تمثيلات صورة النبي محمد -ص- في كتاب "عظماء رجال الشرق" للامرتين

د. مكي سعد الله

● النقد الذاتي للخطاب الاستشرقي، جورج مقدسي نموذجاً

محمد مجدي السيد مصباح

● صورة المغرب في الخطاب الرحلي النسوي الفرنسي

قاسم الحادك

● المصور المستشرق ديفيد روبرتس وجهوده في توثيق الآثار الإسلامية

د. وبيع أحمد سيد أحمد

المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية

منهج المستشرق الألماني برجستراسر في الدراسات القرآنية

عائشة جنان^[*]

ملخص

يعتبر برجستراسر من أبرز المستشرقين الألمان، الذين اهتموا بالتراث العربي، وخصوصاً بحقل الدراسات القرآنية، حيث عمل على العناية بالمخطوطات الإسلامية وتحقيقتها. ولعلَّ خبرته ورحلاته وزياراته المبكرة إلى العالم الإسلامي ساعدته بأن يتميز بمنهج علمي بارز في التحقيق والنشر. ولم يقتصر على ذلك فحسب، بل ألَّف عدَّة كتب، منها ما هو مرتبط بالقراءات القرآنية، واهتمَّ بما يخرج من طبعات القرآن الكريم، فعمل على نقدها كطبعة فلوجل التي بينَّ ما يشوبها من أخطاء، كما أبدى آراءه في القرآن الكريم والقراءات القرآنية والمصاحف من خلال الجزء الثالث من كتاب تاريخ القرآن، والذي يبدو فيه تأثره الواضح بمنهج أستاذه المستشرق الألماني نولدكه، إلاَّ أنه قد وقع من خلاله في عدَّة أخطاء منهجية.

ولأجل بلوغ الغاية من هذا البحث، قسَّمناه إلى محورين:

[*] باحثة في سلك الدكتوراه، السنة الرابعة، بمختبر «اللسانيات والأدب واللغات»، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مولاي إسماعيل، مكناس، المغرب.

المحور الأول: منهج برجستراسر في الدراسات القرآنية

المحور الثاني: نقد عمل المستشرق الألماني برجستراسر في الدراسات القرآنية

خاتمة: خلاصة النتائج المقررة في البحث.

الكلمات المفتاحية: الدراسات القرآنية، برجستراسر، تحقيق، منهج، نقد.

تمهيد

من المعلوم أنّ المستشرقين اهتمّوا بدراسة الدين الإسلامي، والقرآن الكريم، والسنة النبوية، ولعلّ مناهجهم قد اختلفت وتباينت. لذلك نسعى إلى الوقوف على منهج أحد المستشرقين الألمان في الدراسات القرآنية، ويتعلّق الأمر ببرجستراسر، وهو مستشرق ألماني (١٨٨٦-١٩٣٣م)، مسيحي بروتستانتي، برز في نحو العبرية واللغات السامية بعامة، وعني بدراسة اللهجات العربية وبقراءات القرآن^[١]. كان أبوه وجده من قساوسة البروتستانت في مدينة بلون بألمانيا. تعلّم في مدينة ليبزج، وأخذ العربية عن فيشر، ثمّ قام برحلة إلى الشرق، فزار الأناضول وتركيا، وسوريا، وفلسطين، ومصر. وتوفّي متردياً من قمة جبل من جبال الألب أثناء رحلة رياضية^[٢]. قدم مصر، أستاذاً زائراً، عام ١٩٣١ و١٩٣٢م. وألقى في جامعتها محاضرات في تطوّر النحو العربي، ومحاضرات في قواعد نشر النصوص العربية، نشرها فيما بعد تلميذه الدكتور محمد حمدي البكري^[٣]. ويلاحظ من سيرة برجستراسر العلمية تخصّصه المباشر في القرآن الكريم واهتمامه بالقراءات القرآنية تأليفاً وتحقيقاً^[٤]، حيث إنّهُ انتَهز فرصة وجوده في القاهرة ليسجّل مجموعة من الأسطوانات لمختلف القراءات القرآنية لعدد من مشاهير المقرئين في مصر آنذاك، وليطلّع على المخطوطات المتعلقة بعلم القراءات في دار الكتب المصرية^[٥]، ممّا يجعله من المستشرقين الألمان، الذين قدّموا

[١] الطريحي (سحر جاسم عبد المنعم)، الدراسات القرآنية في الاستشراق الألماني، إشراف: الدكتور محمد حسين علي الصغير، جامعة الكوفة، كلية الفقه، ص ٢٤٧.

[٢] الطناحي (محمود محمد)، مدخل إلى تاريخ نشر التراث، مكتبة الغانجي، القاهرة، ط ١٩٨٤، ١، ٢٥٨.

[٣] م.ن، ٢٥٨.

[٤] خليفة حسن (محمد)، دراسة القرآن الكريم عند المستشرقين في ضوء علم نقد «الكتاب المقدّس»، ص ٣٨.

[٥] بدوي (عبد الرحمان)، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، ط ١٩٩٣، ٣، لبنان، ص ٨٦.

مساهمات كثيرة في مجال الدراسات الإسلامية بصفة عامة، وفي مجال الدراسات القرآنية بصفة خاصة^[1]، الشيء الذي دفعنا إلى محاولة تبيان منهجه تأليفاً وتحقيقاً، ثم التّطرق إلى النقد الذي تعرّض له في هذا الميدان.

المحور الأول: منهج برجستراسر في الدراسات القرآنية

١ - منهج برجستراسر في تأليف الدراسات القرآنية

يعتبر برجستراسر من أكبر المستشرقين اهتماماً بالقرآن الكريم على مستوى الدراسة العلمية، وعلى مستوى جمع المخطوطات^[2]، فكان له في مجال الدراسات القرآنية مساهمات كثيرة مميّزة، ونجد من مؤلفاته في هذا الميدان ما يلي:

• قراءة القرآن في القاهرة، وهو مقال نشر في مجلة (der islam) في ١٦ أغسطس ١٩٣٣ م.

• قراءة الحسن البصري للقرآن، نشر في مجلة (islamica) ع ٢، ١٩٢٦ م.

• تاريخ قراءات القرآن، نشر سنة ١٩٢٩ م.

• القرآن، نشر عام ١٩٢٦ م^[3].

من الملاحظ بأنّ جهود برجستراسر تنصبّ حول ما ألّف في القرآن تارة، وفي قرائه تارة أخرى. ومن هذا النوع، ما قام به في وضع معجم لقراء القرآن مع تراجمهم، وكان ذلك بحثاً رقي به إلى درجة الأستاذية عام ١٩١٢ م^[4]. إضافة إلى ذلك، لم يقتصر اهتمامه على التأليف والتحقيق في ميدان الدراسات القرآنية، بل تجاوز ذلك إلى إبداء رأيه فيما خرج من طبعات للقرآن الكريم، من ذلك معارضته لطبعة فلوجل للقرآن الكريم، واكتشافه للأخطاء الموجودة فيها، وخصوصاً بعد خروج طبعة الأزهر،

[١] الطريحي (سحر جاسم عبد المنعم)، الدراسات القرآنية في الاستشراق الألماني، إشراف: الدكتور محمد حسين علي الصغير، جامعة الكوفة، كلية الفقه، ص ١.

[٢] محمد (خليفة حسن)، دراسة القرآن الكريم عند المستشرقين في ضوء علم نقد «الكتاب المقدس»، ص ٣٦-٣٧.

[٣] العقيقي (نجيب) المستشرقون، دار المعارف بمصر، ط ٣، ج ٢، ١٩٦٥ م، ص ٧٤٨.

[٤] الصغير (محمد حسين علي)، المستشرقون والدراسات القرآنية، دار المؤرّخ العربي، ط ١، لبنان، ١٩٩٩، ص ٧٧-٧٨.

التي سمع عنها أوّل عام ١٩٢٨م فتاقت نفسه للاطلاع عليها^[١]. وفي هذا السياق قال برجستراسر: «فيما يتعلّق بطبعة فلوجل للنصّ القرآني، فإنّها لم تكن على الأقلّ في عصره إنجازاً رائعاً جديراً بالتقدير، فعندما ظهرت لأوّل مرّة عام ١٨٣٤م، كانت مليئة بالأخطاء، وذلك ليس من ناحية المعايير الخاصّة بالنصوص العربيّة المحقّقة في الغرب فحسب، وإنّما أيضاً للمعايير الخاصّة بالمعارف الشرقيّة ووسائلها»^[٢]. وفي مقابل ذلك، أثنى على طبعة الأزهر، معتبراً: «أنّ هذه الطبعة الرسميّة للمصحف الشريف إنجاز لم يكن بإمكان الاستشراق الأوروبي تقديم ما هو أفضل منه أو ما يوازيه، إنّها خالية تماماً من التأثير الأوروبي، ومن خلالها تطلّ علينا علوم إسلاميّة قديمة ومثينة ومثمرة، إنّها برهان على المستوى الرفيع، الذي بلغته حالياً دراسات علوم القرآن في مصر»^[٣]. الشيء الذي جعله يعتبر: «بأنّ الطبعة المصريّة الرسميّة للقرآن تعدّ من الآن فصاعداً مرجعاً للباحث الأوروبي، ومنذ ظهورها لم يعد هناك ما يبرّر استخدام طبعة فلوجل للنصّ القرآني»^[٤].

ولعلّ ما ذكرناه سلفاً يبيّن مدى المعرفة الشاملة لبرجستراسر بميدان الدراسات القرآنيّة، ممّا دفعه إلى المقارنة ونقد ما يخرج من طبعات للقرآن الكريم، موضّحاً ما يوجد بها من أخطاء. وجدير بالذكر بأنّ برجستراسر عبّر في الجزء الثالث من كتاب تاريخ القرآن عن أهمّ آرائه حول القرآن الكريم، والقراءات، والمصاحف^[٥]، بما تهياً له من معرفة واسعة بالكتب العربيّة المؤلّفة في قراءات القرآن^[٦].

[١] المنيع (ناصر بن محمّد بن عثمان)، المستشرق الألماني برجستراسر وآثاره في الدراسات القرآنيّة ومنهجه فيها، مجلة العلوم التربويّة والدراسات الإسلاميّة، مجلد ٢٢، ٢٠١٠، ص ٢٨-٣٥. بتصرف.

[٢] شتيفان (فيلد) ملاحظات على مساهمات المستشرقين في الدراسات القرآنيّة، ص ١٢.

[٣] م. ن، ص ٩-١٠.

[٤] م. ن، ص ١٢.

[٥] الدراسات العربيّة في الجامعات الألمانيّة رودي بارت، ص ٢٧. نقلاً عن المنيع (ناصر بن محمّد بن عثمان)، المستشرق الألماني برجستراسر وآثاره في الدراسات القرآنيّة ومنهجه فيها، ص ١٤٤. بتصرف.

[٦] موسوعة المستشرقين (ص ٨٧)، نقلاً عن المنيع (ناصر بن محمّد بن عثمان)، المستشرق الألماني برجستراسر وآثاره في الدراسات القرآنيّة ومنهجه فيها، ص ١٤٤. بتصرف.

١.١ منهج برجستراسر في تأليف الجزء الثالث من تاريخ القرآن^[١]:

كان كل من برجستراسر وبرتزل^[٢] على جانب كبير من الاهتمام بدراسة القرآن الكريم ونشر ما يتعلق بآثاره، فقد اشتركا في نشر الجزء الثالث من تاريخ النصّ القرآني لنولدكه^[٣]، ذلك بعد أن قرّر المجمع العلمي البافاري في ميونخ جمع المصادر الخاصة بالقرآن الكريم وعلومه، وضبط قراءاته لنشرها، ليمنح المهمة لبرجستراسر، والتي عاونه في بعضها أوتو برتزل. وبعد وفاة برجستراسر انتدب المجمع برتزل لاستكمال هذا الجهد، فبادر من فوره إلى تصوير تلك المصادر والمصاحف تصويراً شمسياً في عدة نسخ لتيسير الاطلاع عليها في ميونخ والحصول على صور منها، ثم تدوين كل آية من القرآن الكريم في لوح خاصّ يحوي متنوع الرسم في مختلف المصاحف مع بيان قراءاتها ومتعدّد تفاسيرها^[٤]. ونجد أنّ الجزء الثالث من تاريخ القرآن يضمّ ثلاثة فصول:

الفصل الأوّل: الرسم واشتمل على المباحث الآتية:

- أخطاء النصّ العثماني
- صياغة النسخ العثمانية
- ضبط الكتابة
- القراءات غير العثمانية

أمّا الفصل الثاني، فكان بعنوان: القراءة، واشتمل على المباحث الآتية:

- مسائل أساسية

[١] اعتنى بهذا الجزء برجستراسر وأوتو برتزل.

[٢] يرتبط اسم أوتو برتزل بالدراسات الخاصة بقراءات القرآن، وهو إلى جانب جوتهلّف برجستراسر أبرز المستشرقين في هذا المجال، ولد برتزل في منشن (ميونخ) في ٢٠ أبريل ١٨٩٣ م. انظر بدوي (عبد الرحمان)، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، ط ٣، لبنان، ١٩٩٣، ص ٨٢.

[٣] الصغير (محمّد حسين علي)، المستشرقون والدراسات القرآنية، دار المؤرّخ العربي، ط ١، لبنان، ١٩٩٩، ص ٧٤. بتصرف.

[٤] الصغير (محمّد حسين علي)، المستشرقون والدراسات القرآنية، م.س، ص ٧٣. بتصرّف.

• القراء والقراءات

• كتب القراءات

الفصل الثالث: جاء بعنوان مخطوطات القرآن، واشتمل على المباحث الآتية:

• الوضع الراهن لأبحاث المخطوطات

• خطّ المصاحف القديمة

• تزويد المصاحف القديمة بعلامات القراءة والأجزاء وعناوين السور

• تاريخ المخطوطات وتحديد أماكن كتابتها

• نسخ القرآن الحديثة^[١].

وتتجلى مزايا الجزء الثالث من تاريخ القرآن فيما يلي:

- وفرة مصادر المؤلف^[٢]، ذلك أنّ المادّة العلميّة التي تمّ عرضها وبحثها هي مادة وفيرة، متنوّعة ومتعدّدة، وعليها مدار البحث في القراءات القرآنيّة، إذا ما أضفنا إليها المواد السابقة المضمّنة في الجزأين السابقين.^[٣]
- تمتّع المؤلف بخلفيّة جيّدة في اللغة العربيّة ولهجاتها المختلفة.
- كثرة الأمثلة والشواهد والروايات التي يدعم بها كلامه وآراءه.
- جودة التعريف بالمصطلحات والتفريق بينها.
- تقديم وصف مختصر ومفيد لكثير من كتب القراءات، ممّا يدلّ على أنّ المؤلف قد اطّلع عليها^[٤].

[١] المنيع (ناصر بن محمّد بن عثمان)، المستشرق الألماني برجستراسر وآثاره في الدراسات القرآنيّة ومنهجه فيها، ص ١٤٤.

[٢] م.ن، ص ١٤٥.

[٣] خروباوات (محمّد)، مواقف المستشرقين من القراءات القرآنيّة من خلال «تاريخ القرآن»، لتيودور نولدكه نشر في موقع إلكتروني:

<https://vb.tafsir.net/tafsir26940/#.WaHzWfjyizc>

[٤] المنيع (ناصر بن محمّد بن عثمان)، المستشرق الألماني برجستراسر وآثاره في الدراسات القرآنيّة ومنهجه فيها، ص ١٤٥-١٤٦.

ومن الملاحظات المقدمة حول الكتاب ما يلي:

- عرض المادة العلمية على الطريقة التقليدية، فقد اعتمدت نظام الفصول والمباحث مع اعتماد نظام التقييم الأبجدي لتكون أبلغ في التأثير.
- المنهج الذي ساد في البحث هو المنهج الفيلولوجي، وهو المنهج الذي يعنى بدراسة الآثار العلمية والمخطوطات القديمة بغية إعادة تركيب معرفة جديدة من خلالها.
- الاعتماد على أسلوب المقارنة والنقد، وقد احتلت المصادر المعتمدة في البحث مكائنها الخاصة، فمصادر المستشرقين المتقدمين قوبلت بالاحترام والتقدير، تمّ اعتمادها والبناء عليها، بل الإشادة بها في بعض الأحيان. أمّا المصادر العربية، فهي مجال للأخذ وللاقتباس مع الحيطة والحذر، وكلّ ذلك يخضع للتأويل والنقد والتحليل^[1].

٢.٢ منهج برجستراسر في تأليف مشروع الهوامش النقدية للقرآن الكريم:

تحدّث برجستراسر في منشورات مجمع العلوم البافاري في الجزء الثالث من كتاب تاريخ القرآن عن خطة لوضع هوامش نقدية للقرآن. ففي عام ١٩٣٣م، وبعد صدور الطبعة الرسمية للقرآن الكريم التي أصدرتها الحكومة المصرية، سعى لدى المجمع لإنشاء مركز خاص للقيام بهذا العمل، وكتب مخطّطاً، وافيّاً، مفصّلاً، عن هذا المشروع^[2]، والذي قصد من خلاله تقديم عرض واف للقراءات المأثورة اعتماداً على المراجع العربية. وفي ذلك لم يكن يريد الاقتصار على القراءات السبع أو العشر أو الأربع عشرة، وإنما أراد أيضاً وبقدر الإمكان، عرض كلّ ما يسمّى بشواذ القراءات، التي قرأ بها بعض القرّاء والعلماء، ولم تعد من القراءات السائدة^[3].

[١] خروباوات (محمّد)، مواقف المستشرقين من القراءات القرآنية من خلال «تاريخ القرآن»، لتيودور نولدكه. نشر في موقع إلكتروني:

<https://vb.tafsir.net/tafsir26940/#.WaHzWfjyizc>

[٢] تاريخ القرآن، ج ٣، ٦٩٩/٣، الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، ص ٤٠. موسوعة المستشرقين (ص ٨٦). نقلاً عن المنيع (ناصر بن محمّد بن عثمان)، المستشرق الألماني برجستراسر وأثاره في الدراسات القرآنية ومنهجه فيها، ص ١٣٤.

[٣] شتيفان (فيلد)، ملاحظات على مساهمات المستشرقين في الدراسات القرآنية، ص ١٣. بتصرف.

بدأ برجستراسر في هذا العمل بالاعتماد على ابن خالويه، وتعبير أدق على «مختصر شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه» (الذي نشر في القاهرة عام ١٩٣٤م)، وكذلك بالاعتماد على جزء من كتاب المحتسب لابن جني. إلى جانب ذلك أراد أن تشمل الحواشي على دراسات لمخطوطات عربيّة للقرآن، وعلى الأخصّ للمصاحف القديمة المكتوبة بالخط الكوفي. ولهذا الغرض شرع في وضع أرشيف مصوّر لمخطوطات تشتمل على النصّ القرآني بالخط الكوفي، ففي القاهرة وإسطنبول قام برجستراسر بتصوير العشرات من المخطوطات العربيّة والعديد من المخطوطات المتعلّقة بالقراءات^[1]. وقد وصف كارل بروكلمان هذه الطريقة: «بمقابلة النصّ على الطريقة الحديثة»^[2].

نخلص من خلال ما سبق إلى الجهود المبذولة لبرجستراسر في سبيل تأليفه لهذا الكتاب، حيث وقف على مصادر عربيّة وعدّة مصاحف، فضلاً عن تصويره لمختلف المخطوطات في مجال القراءات القرآنيّة. ولعلّ جهوده لم تقتصر على التأليف فحسب، بل نستخلصها من خلال التحقيق أيضاً.

٢- منهج برجستراسر في تحقيق الدراسات القرآنيّة:

ولدت نظريّة التحقيق للنصوص العربيّة في جامعة القاهرة على يدي المستشرق الألماني برجستراسر، الذي قدم مصر زائراً، وألقى في جامعتها، (١٩٣١-١٩٣٢م)، سلسلة محاضرات في قواعد نشر النصوص العربيّة، وقد أعدّها للنشر الدكتوران حمدي البكري و خليل عساكر، وهما من تلاميذه، الذين ألقى عليهم المحاضرات التي طبعت عام ١٩٦٩م بعنوان (أصول نقد النصوص ونشر الكتب)^[3]. ليكون لبرجستراسر دور كبير وبارز في تحقيق المخطوطات ونشر النصوص العربيّة القديمة في مختلف مجالات العلوم وميادين المعرفة^[4]. إذ تناول في محاضراته مناهج تحقيق

[١] شتيفان (فيلد)، ملاحظات على مساهمات المستشرقين في الدراسات القرآنيّة، ص ١٤. بتصرف.

[٢] تاريخ الأدب العربي ١ / ١٩٩، بروكلمان، نقلاً عن المنيع (ناصر بن محمّد بن عثمان)، المستشرق الألماني برجستراسر وآثاره في الدراسات القرآنيّة ومنهجه فيها، ص ١٣٥.

[٣] بغداد (عبد المنعم)، جهود التحقيق: الأصالة - الاستشراق - التحديث، مجلّة التراث العربي، ع ٣٨، ٢٠١٨، ص ٤١٠.

[٤] رائد (أمير عبد الله)، المستشرقون الألمان وجهودهم تجاه المخطوطات العربيّة الإسلاميّة، مجلّة كلية العلوم الإسلاميّة، المجلد الثامن، ع ١٥ / ١، ٢٠١٤.

النصوص ونشرها، وقد بهرت هذه المحاضرات في وقتها من لا علم عنده^[١]، ولا خبرة لديه بماضي هذه الأمة العربية، وما صنعه علماءؤها في تدوين هذا التراث وجمعه، وما شادوه حول هذا التراث، ضبطاً له، وحرصاً عليه، ثم ما أقاموه من قواعد، من حيث إسناد الرواية إلى مؤلف الكتاب، والمقابلة بين النسخ الأخرى، والمفاضلة بين النسخ على أساس ما ثبت على بعضها من سماعات وإجازات وتقييدات، ثم ما وراء ذلك كله من تلك القواعد الصارمة الدقيقة، التي وضعها علماء الحديث في فن الجرح والتعديل، وهذه القواعد تمثل الأساس المتين للإتقان والإحكام والصحة والقبول والرد^[٢].

ويعدّ ما قام به برجستراسر من جهود في التحقيق سبباً في اعتراف علمائنا المعاصرين بما للمستشرقين من فضل في إحياء التراث العربي ونشره وفق المناهج العلمية الدقيقة، لكن هؤلاء العلماء قد نظروا فيما استحدثه المستشرقون من مناهج وما أصلوه من قواعد، فإذا هو منتزع من داخل تراثنا نفسه، موصول الأسباب والنتائج بما صنعه الأوائل^[٣]. يقول العلامة عبد السلام هارون: «كان لجمهرة المستشرقين فضل عظيم في تأسيس المدرسة الطباعية الأولى للتحقيق والنشر، بينما تحقيق النصوص عملية عربية قديمة وأصلية»^[٤]. وبالرجوع إلى محاضرات برجستراسر يتبين لنا بشكل جلي اطلاعه ومعرفته بالقواعد التي اتبعتها العرب القدماء لضبط النصّ والتثبت من صحته، خاصةً منهج المحدثين منهم.

اهتمّ برجستراسر بتحقيق كتب التراث الإسلامي من خلال نشر أمهات الكتب العربية في حقل القراءات القرآنية، وهي كالآتي:

• ابن خالويه القراءات الشاذة في القرآن^[٥].

• المختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع^[٦].

[١] الطناحي (محمود محمد)، مدخل إلى تاريخ التراث العربي، ص ٩٠-٩١.

[٢] الطناحي (محمود محمد)، مدخل إلى تاريخ التراث العربي، ص ٩١.

[٣] م. ن، ص ٩٢.

[٤] هارون (عبد السلام محمد)، تحقيق النصوص ونشرها، مكتبة الغانجي، القاهرة، ط ١، ١٩٩٨، ص ٦٥.

[٥] بدوي (عبد الرحمان)، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، ط ٣، لبنان، ١٩٩٣، ص ٨٦.

[٦] بدوي (عبد الرحمان)، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، ص ٨٦.

• ابن الجزري طبقات القراء^[1].

• كتاب اللامات لأحمد ابن فارس. نشر في مجلة (islamica) عام ١٩٢٤م^[2].

وجدير بالذكر، أنّ كل من برجستراسر وبرتزل أشرفا على تحقيق مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه، والتيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني، وغاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري. وعمومًا فقد تميّز عمل كلّ من برجستراسر وبرتزل في النشر والتحقيق بما يلي:

• محاولة قراءة المخطوط قراءة دقيقة متأنّة، والاجتهاد في تصحيحه.

• الاهتمام بإثبات الفروق بين النسخ في هامش الكتاب.

• أغفلا ضبط الكلمات في كثير من الأحيان، ولم يخرجوا الأحاديث النبويّة، ولا ترجما للأعلام الواردين في النصّ، ويمكن أن يقال إنّهما اهتمّا بالنصّ، ولم يهتمّا بخدمته بالشرح والتعليق والتخريج، وعملهما هذا يتعارض مع ما هو قائم اليوم من تحقيق كتب التراث الإسلامي في الجامعات والمراكز الإسلاميّة التي تهتمّ بخدمة النصّ^[3].

ولعلّ عدم الاهتمام بخدمة النصّ ضبطًا وشرحًا وتعليقًا وتخريجًا، يجعل من هذا العمل يتخلّله نقص كبير، باعتبار ذلك من موجبات التحقيق التي لا بدّ من الوقوف عندها لتيسير فهم النصّ المحقّق لدى القارئ.

٢.٢ منهج برجستراسر في تحقيق مختصر شواذ القرآن لابن خالويه:

عني برجستراسر بتحقيق كتب التراث الإسلامي المخطوط، وخاصّة في فنّ القراءات القرآنيّة، من خلال تحقيق كتاب «مختصر في شواذ القرآن» لابن خالويه^[4].

[١] بدوي (عبد الرحمان)، موسوعة المستشرقين، ص ٨٦.

[٢] بدوي (عبد الرحمان)، موسوعة المستشرقين، ص ٨٦.

[٣] ناصر (بن محمّد عثمان)، آثار مدرسة الاستشراق الألمانيّة في الدراسات القرآنيّة، مركز البحوث والدراسات الإسلاميّة، ٢٠٠٩، ص ٤٢١.

[٤] الربيع (عولمي)، المستشرقون الألمان والتراث العربي الإسلامي المخطوط بين التحقيق والتلفيق، مجلة كان التاريخية، ع ٤٠، ٢٠١٨، ص ٢٦.

الذي قصد من خلاله إلى كتابة تاريخ نصّ القرآن الكريم من أصوله، التي كانت في الرقاع واللخاف والعصب، منذ القدم إلى وقت أن ظهرت المصاحف المطبوعة التي في أيدينا الآن، وكان يبحث شيئاً فشيئاً عن جميع الأطوار التي عرضت لجمع القرآن، ويرتبها ترتيباً علمياً، فكان نشره لكتاب ابن خالويه عاملاً قوياً في هذا الترتيب. وقد احتاج هذا البحث أولاً إلى معاينة آثار المصاحف الكوفية القديمة التي بقيت لدينا من القرون الماضية، وثانياً إلى جمع ما بقي عندنا من القراءات المختلفة، سواء أكانت صحيحة متواترة أم شاذة. أما القراءات المتواترة، فهي مشهورة، نجدها في كتب كثيرة، تتعلق بقراءات القراء السبعة، وهم: نافع وابن كثير وابن عامر وأبو عمرو وعاصم وحزمة والكسائي، أو القراء العشرة، وهم السبع المذكورون مع خلف وأبو جعفر ويعقوب^[١].

ويتجلى منهج تحقيقه لهذا الكتاب في الآتي:

- الاهتمام بضبط ما يحتاج إلى ضبط من كلمات وقراءات^[٢].
- تقسيم المتن إلى فقرات، كلّ فقرة خمسة أسطر.
- ذكر في الهامش رقم السطر بين معقوفتين، ثم يذكر الكلمة التي أثبتتها ثم يضع نقطتين فوق بعضهما، ثم الكلمة الخاطئة، ويتبعها رمز النسخة التي وردت فيها، مثلاً: (٦) حيوة: حبة (ب).
- بالنسبة للتصحيح، فإنه لا يصحّح في النصّ، ويصحّح في المتن، ويصحّح حتّى في تشكيل الكلمة، ويستخدم عدّة صيغ في التصحيح منها: (١١) يخدعون: كذا في آ وفي ب يخدعون. ويصحّح من مصادر غير النسخ كالرسم القرآني في المصحف، ويضع الآية بين قوسين () مثل: ١٦ ما يعبدوهم إلّا ليقربونا: غير مفهوم والمشهور عن ابن مسعود (قالوا ما نعبدوهم إلّا ليقربونا).
- تعليقات على النصّ مثل: ٥ الفاء غير موجود في ب وهو مكتوب على الهامش في آ ولعلّه ليس من أصل الكتاب.

[١] ابن خالويه، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، مكتبة المتنبّي، القاهرة، ص ٥-٦.

[٢] رائد (أمير عبد الله)، المستشرقون الألمان وجهودهم تجاه المخطوطات العربية الإسلامية، ص ٢١.

- طريقة المحقق والناشر في إثبات الفروق هي: تقسيم المتن إلى فقرات، كلّ فقرة خمسة أسطر، ويذكر في الهامش رقم السطر بين معقوفتين، ثمّ يذكر الكلمة التي أثبتها، ثمّ يضع نقطتين فوق بعضهما، ثمّ الكلمة الخاطئة، ويتبعها رمز النسخة التي وردت فيها هكذا: (١٢) أعربياً: أعرباني^[١]. وتعني (١٢) رقم السطر في المتن (أعربانيا): الكلمة التي أثبتها في المتن، ويتّضح أنّها موجودة في النسخة الأخرى (ب). (أعرباني): الكلمة التي استبعدها، وهي موجودة في النسخة الأخرى (أ): النسخة الأخرى المصوّرة من استنبول^[٢].
- وفي كثير من الحالات يثبت ما رآه صواباً، ولو لم يكن في النسختين، وخاصة في أسماء الأعلام^[٣].
- بالنسبة للسقط، يستخدم الصيغ التالية في المقابلة بين النسخ والنصّ. مثل: ١ أبو: غير موجود في آ، لا بدّ من أن تكون سقطت عبارة مثل حلقيا^[٤].
- يركّز على المقابلة الدقيقة بين النسخ ويعلّق على الاختلافات بين النصّ والنسخ حتّى في اختلافهم في تشكيل الكلمة^[٥]. إذ اعتمد في تحقيقه لهذا الكتاب على نسختين، وصفهما آرثر جفري بقوله: «وقد اعتمد الأستاذ برجستراسر في إثبات نصّ هذا الكتاب على نسختين، إحداهما من استنبول، مشار إليهما فيما يأتي بعلامة أ، والأخرى من مصر مشار إليها بعلامة (ب)»^[٦].
- الاهتمام بضبط ما يحتاج إلى ضبط من كلمات وقراءات.
- الاهتمام بضبط الأعلام وتصحيح الأخطاء في أسمائهم، ومن ذلك: جاء في

[١] مختصر في شواذ القرآن، ص ١٤. نقلاً عن المنيع (ناصر بن محمّد بن عثمان)، المستشرق الألماني برجستراسر وآثاره في الدراسات القرآنية ومنهجه فيها، ص ١٥٩.

[٢] المنيع (ناصر بن محمّد بن عثمان)، المستشرق الألماني برجستراسر وآثاره في الدراسات القرآنية ومنهجه فيها، ص ١٥٩.

[٣] المنيع (ناصر بن محمّد بن عثمان)، المستشرق الألماني برجستراسر وآثاره في الدراسات القرآنية ومنهجه فيها، ص ١٥٩.

[٤] رائد (أمير عبد الله)، المستشرقون الألمان وجهودهم تجاه المخطوطات العربية الإسلامية، ص ٢٢.

[٥] م. ن، ص ٢٣.

[٦] المنيع (ناصر بن محمّد بن عثمان)، المستشرق الألماني برجستراسر وآثاره في الدراسات القرآنية ومنهجه فيها، ص ١٥٨. بتصرف.

النص في المتن في النسختين كما يلي: حكاه عيسى بن سليمان الجحدري، وعلّق في الهامش قائلاً: (٨) الجحدري: لعلّ الصواب (والجحدري)^[١].

• ويمكن ذكر بعض الكتب التي اعتمد عليها في التحقيق، منها: الكتاب لسيبويه^[٢]، والمحتسب لابن جنّي^[٣]، والكشاف للزمخشري^[٤]، وإتحاف فضلاء البشر^[٥].

- لم يخرج الآيات القرآنية أو الأحاديث النبوية أو الأشعار^[٦].
- لم يترجم للأعلام، حيث ورد العديد من الأسماء والأعلام غير المعروفة، ولم يوضح المعاني الغامضة.
- لم نجد له مقدّمة لعمله في التحقيق، كما نجدها عند المحقّقين العرب، من أهميّة الكتاب المراد تحقيقه، وأسباب اختياره للتحقيق، ومنهجه في التحقيق، ودراسة المخطوط.
- لم يسم مصادره في الكتاب، لكن بتتبّعه يمكن أن يقال: إنّه اهتمّ بما في المصحف العثماني، وصحّح كثيراً من الكلمات بناء على ما فيه^[٧].

[١] مختصر شواذ القرآن، ص ١١٥. نقلاً عن المنيع (ناصر بن محمّد بن عثمان)، المستشرق الألماني برجستراسر وآثاره في الدراسات القرآنية ومنهجه فيها، ص ١٥٩.

[٢] مختصر شواذ القرآن، ص ١٨٣. نقلاً عن المنيع (ناصر بن محمّد بن عثمان)، المستشرق الألماني برجستراسر وآثاره في الدراسات القرآنية ومنهجه فيها، ص ١٥٩.

[٣] مختصر شواذ القرآن، ١٤٨-١٧٧، نقلاً عن المنيع (ناصر بن محمّد بن عثمان)، المستشرق الألماني برجستراسر وآثاره في الدراسات القرآنية ومنهجه فيها، ص ١٥٩.

[٤] مختصر شواذ القرآن، ص ١٧١-١٧٦. نقلاً عن المنيع (ناصر بن محمّد بن عثمان)، المستشرق الألماني برجستراسر وآثاره في الدراسات القرآنية ومنهجه فيها، ص ١٥٩.

[٥] مختصر شواذ القرآن، ص ١٤. نقلاً عن المنيع (ناصر بن محمّد بن عثمان)، المستشرق الألماني برجستراسر وآثاره في الدراسات القرآنية ومنهجه فيها، ص ١٥٩.

[٦] رائد (أمير عبد الله)، المستشرقون الألمان وجهودهم تجاه المخطوطات العربية الإسلامية، مجلة كلية العلوم الإسلامية، ع (١٥ / ١)، مجلد ٨، ٢٠١٤، ص ٢٢.

[٧] المنيع (ناصر بن محمّد بن عثمان)، المستشرق الألماني برجستراسر وآثاره في الدراسات القرآنية ومنهجه فيها، ص ١٥٩.

٢.٢ منهج برجستراسر في تحقيق غاية النهاية لابن الجزري:

يمكن وصف تحقيقه لهذا الكتاب بما يلي:

- الاعتماد في تحقيق الكتاب وإخراجه على ثلاث نسخ هي:
 - أ. النسخة الموجودة في المكتبة العمومية في الأستانة رقم ٢٣٤، وهي النسخة التي اتخذت أساساً، ورمز لها بالحرف ع.
 - ب. النسخة الموجودة في دار الكتب المصرية رقم (تاريخ ١٦١٦)، ورمز لها بالحرف (ق).
 - ت. النسخة الموجودة في دار الكتب المصرية رقم (تاريخ ١٦٤٧)، ورمز لها بالحرف ك، وقد صرح أنّ هاتين النسختين لا يوثق بهما^[١].
- طريقته في إثبات الفروق بين النسخ تشبه إلى حد كبير طريقته في كتاب «مختصر في شواذ القرآن» من تقسيم المتن إلى فقرات، وكلّ فقرة خمسة أسطر، والإشارة في الهامش تكون إلى رقم السطر، ونأخذ مثلاً واحداً:
- ورد في المتن: الكوفي. وفي الهامش الكوفي ع الكدري ك الكدري ق. ويعني أنّه أثبت ما ورد في نسخة ع وورد في نسخة ك: الكدري وورد في ق: الكدري^[٢].
- يمكن أن يقال إنّ لم يعتمد تماماً على النسخة التركية ع؛ بل صحّح كثيراً باعتبار خبرته، وخاصّة في أسماء المترجمين، أو أسماء شيوخهم، أو تلامذتهم، أو تواريخ ولادتهم، أو وفياتهم. ومن ذلك: ورد في المتن: ولد سنة ثمان. وفي الهامش ثمان ق ك ثلاث ع^[٣]. يعني أنّه أثبت ما ورد في ق وك لأنّه هو الصحيح. وأهمّل ما ورد في ع.

[١] غاية النهاية، ١/ ٣. المنيع (ناصر بن محمّد بن عثمان)، المستشرق الألماني برجستراسر وآثاره في الدراسات القرآنية ومنهجه فيها. ص ١٦٠.

[٢] غاية النهاية، ١/ ٢٠٩. المنيع (ناصر بن محمّد بن عثمان)، المستشرق الألماني برجستراسر وآثاره في الدراسات القرآنية ومنهجه فيها. ص ١٦٠.

[٣] غاية النهاية، ١/ ٥٧٣. المنيع (ناصر بن محمّد بن عثمان)، المستشرق الألماني برجستراسر وآثاره في الدراسات القرآنية ومنهجه فيها. ص ١٦٠.

وعموماً، من الملاحظات التي قدّمت حول تحقيق برجستراسر لهذين الكتابين ما يلي:

- لم يَقم بمقدّمة لعمله يذكر فيها-كعادة المحقّقين- أهميّة الكتاب المراد تحقيقه وأسباب اختياره للتحقيق ومنهجه في تحقيقه^[1].
- لم يقدّم ترجمة ولو موجزة لابن خالويه وابن الجزري^[2].
- لم يفرد مبحثاً يثبت فيه نسبة الكتاب إلى صاحبه.
- لم يتحقّق من اسم الكتاب.
- لم يتعرّض لوصف النسخ المعتمدة في التحقيق.
- لم يذيل الكتاب بفهارس علميّة كفهارس الآيات والأحاديث والأعلام^[3].

المحور الثاني: نقد عمل المستشرق الألماني برجستراسر في الدراسات القرآنية

كانت الدراسات القرآنية ميداناً للتنافس بين كلّ المستشرقين، لذلك صوّب المستشرقون سهام التشكيك والتّحريف والتّزييف إليه^[4]. حيث إنّ مناهج أبحاث غير المسلمين ونتائجهم المتعلّقة بالقرآن، قوبلت بارتياح شديد ورفض عريض من قبل المسلمين، وعلى الأخصّ من قبل العرب منهم، عندما بلغتهم أخبار تلك الدراسات^[5]. وفي هذا السياق، نجد من المدارس التي تمّ نقدها مدرسة نولدكه^[6]

[١] المنيع (ناصر بن محمّد بن عثمان)، المستشرق الألماني برجستراسر وآثاره في الدراسات القرآنية ومنهجه فيها، ص ١٦٠.

[٢] المنيع (ناصر بن محمّد بن عثمان)، المستشرق الألماني برجستراسر وآثاره في الدراسات القرآنية ومنهجه فيها، ص ١٦١.

[٣] المنيع (ناصر بن محمّد بن عثمان)، المستشرق الألماني برجستراسر وآثاره في الدراسات القرآنية ومنهجه فيها، ص ١٦١.

[٤] مالك (أمّ الفداء)، القراءات الاستشراقية لتيودور نولدكه في كتابه تاريخ القرآن، مجلّة الرسالة للدراسات والبحوث الإنسانية، المجلّد ٢، العدد ٨٨، ٢٠١٨، ص ١٢٤.

[٥] شتيفان (فيلد)، ملاحظات على مساهمات المستشرقين في الدراسات القرآنية، ص ٤.

[٦] من المستشرقين الألمان الذين عكفوا على قراءة المخطوطات العربيّة، انصبّ اهتمامه على التفسير والنحو ودراسة الشعر العربي. انظر: بدوي (عبد الرحمان)، موسوعة المستشرقين، ص ٥٩٦-٥٩٧.

الألمانية في حقل القرآنيّات^[١]، من خلال كتاب تاريخ القرآن، بأجزائه الثلاثة، وعن هذا الكتاب قال الدكتور محمد توفيق حسين: «وكتاب نولدكه وتلامذته هو الأساس لكل الدراسات اللاحقة في الموضوع، ويتضمّن الخطوط العامة الجوهرية لمنهج المستشرقين في الدراسات القرآنية، وكلّ ما نشر من كتب ومقالات عن القرآن يعتمد على الخطوط الجوهرية العامة لمنهج نولدكه وتلامذته، الذي أصبح يعرف بمدرسة نولدكه للدراسات القرآنية، وقد اعتمدت المقالات الأساسية عن القرآن الكريم في دائرة المعارف البريطانية ودائرة المعارف الإسلامية ودائرة معارف بوردا الفرنسية على التعريف بالقرآن وفقاً لمنهج نولدكه الساعي إلى البحث عما يسمّى بمصادر القرآن»^[٢].

كتب المستشرق الألماني نولدكه رسالته للدكتوراه بعنوان: أصل وتركيب سور القرآن، ثم أعاد كتابتها بعنوان: تاريخ القرآن أو تاريخ النصّ القرآني^[٣]، معتبراً فيه النصّ القرآني وثيقة من وثائق التاريخ الإنساني، محاولاً ربط النصّ القرآني بالبيئة التي نشأ فيها كظاهرة بشرية، منطلقاً من المنهج العلمي الغربي، الذي يفسّر الأديان على أنّها ظاهرة اجتماعية ظهرت كما ظهرت الجماعات البشرية، وأنّها لم تنزل من السماء. ولا ريب أنّ هذه قاعدة لا يقرّها منهج الفكر الإسلامي؛ لأنّها بعيدة الأثر في النتائج التي تترتب عليها، لأنّها تنكر الوحي والنبوة والقيم الثابتة في الدين، كما تنكر عالم الغيب ويوم البعث. وأخطر أدوات هذا المنهج الغربي أنّه يقارن بين الدين وبين ما تورّثه الشعوب المختلفة من أساطير، وصولاً إلى استنتاج مفاده أنّ الأديان ليست إلّا مجموعة من الأساطير والخرافات التي لا تصلح إلّا للتلهية وإمتاع الخيال^[٤]. وقد قام فرديريخ شواللي أوشفالي ١٩١٩م بإعادة تاريخ النصّ القرآني بعد

[١] عزوزي (حسن)، مناهج المستشرقين البحثية في دراسة القرآن الكريم، ص ٣-٤.

[٢] محمد (توفيق حسن)، الإسلام في الكتابات الغربية، مجلّة عالم الفكر، العدد الخاص، دراسات إسلامية، الكويت، ١٩٨٤، ص ٤٠-٤١. نقلاً عن المنيع (ناصر بن محمد عثمان)، آثار مدرسة الاستشراق الألمانية في الدراسات القرآنية، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، ع ٦٤، ٢٠٠٩، ص ٤٠٧.

[٣] العقيلي (نجيب)، المستشرقون، دار المعارف بمصر، ط ٣، ج ٢، ١٩٦٥م، ص ٧٤٠.

[٤] الجندي (أنور)، أخطاء المنهج الغربي الوافد في العقائد والتاريخ والحضارة واللغة والأدب والاجتماع، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢، ص ٧٣ نقلاً عن الطيب (حديدي)، المستشرقون ومدى اقترابهم من حقيقة الإسلام؟ المستشرق الألماني - شيخ المستشرقين تيودور نولدكه وكتابه تاريخ القرآن نموذجاً، مجلّة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، ع ٦٤، ٢٠١٣، ص ٣١٤.

تنقيحه والتعليق عليه^[١]، ثم جاء برجستراسر، وأكمله، فوضع الجزء الثالث بالاشتراك مع برتزل ١٩٤١ م^[٢]. ويوضح هذا الجزء علاقة برجستراسر المباشرة بعمل نولدكه ومنهجه في دراسة القرآن الكريم^[٣]، حيث يعالج فيه تاريخ نص القرآن، مناقشاً أهم خصائص الرسم في مصحف عثمان، مقارناً إياه بصيغ وقراءات غير عثمانية^[٤]. ومن أهم أعمال برجستراسر التي طبّق فيها منهج نولدكه ومدرسته على القرآن الكريم الأعمال الآتية:

- حروف النفي في القرآن.
- معجم قراء القرآن وتراجمهم.
- تاريخ قراءات القرآن.
- المعاونة في نشر طبقات القراء لابن الجزري.
- القرآن.
- تحقيق القراءات الشاذة في كتاب المحتسب لابن جني.
- غابة النهاية وطبقات القراء لابن الجزري في جزأين.
- مختصر شواذ القراءات لابن خالويه.
- الجزء الثالث من تاريخ النص القرآني لنولدكه^[٥].

تشير مصطلحات مثل «تاريخ القرآن» و«تاريخ الإسلام» إلى الانبهار بالمنهج النقدي التاريخي، ولعلّ هدف المستشرقين من استخدامهم لهذا المنهج إثبات عدم

[١] العقيقي (نجيب) المستشرقون، دار المعارف بمصر، ط٣، ج٢، ١٩٦٥ م، ص ٧٢٧.

[٢] العقيقي (نجيب) المستشرقون، دار المعارف بمصر، ط٣، ج٢، ١٩٦٥ م، ص ٧٢٨.

[٣] محمد (خليفة حسن)، دراسة القرآن الكريم عند المستشرقين في ضوء علم نقد «الكتاب المقدس»، ٣٦-٣٧. بتصرف.

[٤] ناصر (بن محمد عثمان)، آثار مدرسة الاستشراق الألمانية في الدراسات القرآنية، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، ٦٤، ٢٠٠٩، ص ٤٠٧.

[٥] محمد (خليفة حسن)، دراسة القرآن الكريم عند المستشرقين في ضوء علم نقد «الكتاب المقدس»، ٣٦-٣٧.

أصالة الإسلام كدين، وأنه دين متأثر تاريخياً بالأديان السابقة عليه، وبخاصة اليهودية والنصرانية، فهو إذن دين له تاريخ^[١]. باعتبارهم أنّ الأديان تمرّ بمراحل نشأة وتطور في التاريخ، وأنّها خلال حياتها تخضع لقانون التأثير والتأثر، فالدين السابق يؤثر في الدين اللاحق، وأنّ الديانات عمومًا خاضعة للمؤثرات التاريخية^[٢]. مما يبيّن سعي هؤلاء إلى النيل من أصالة الدين الإسلامي، وتشويه صورته كدين مستقلّ، وتشويه أصالة الحضارة الإسلامية بردها إلى مصادر أجنبية^[٣].

وقع نولدكه وتلامذته، ومنهم برجستراسر، في عدّة أخطاء منهجية، بعضها أخطاء استشراقية تقليدية، وبعضها مرتبط بنظرية المصادر في حالة تطبيقها على القرآن الكريم^[٤]. ومن هذه الأخطاء خطأ التعميم، وهذا الخطأ المنهجي الاستشراقي ينبع من الاعتقاد في أنّ ما ينطبق على اليهودية والنصرانية ينطبق بالضرورة على الإسلام، وأنّ ما ينطبق على النصوص الدينية المقدّسة في اليهودية والنصرانية صالح للتطبيق على الإسلام، وذلك في تجاهل تامّ ومقصود لاختلاف طبيعة الإسلام عن اليهودية والنصرانية، واختلاف طبيعة القرآن الكريم عن طبيعة العهد القديم والعهد الجديد. ويخلط المستشرقون عادة بين خطأ التعميم وخطأ الإسقاط، أي إسقاط وضع الديانتين السابقتين، ووضع كتبهما المقدّسة على وضع الإسلام والقرآن الكريم. وتشير طبيعة الإسلام والقرآن إلى اختلاف جوهري لا يوجد ما يمكن أن نسّميه بتاريخ النصّ القرآني^[٥]؛ ذلك أنّ أكثر منهج خاطئ اتّبعه المستشرقون الألمان في دراستهم للقرآن الكريم وعلومه هو المنهج الإسقاطي، متأثرين بخلفياتهم العقدية وموروثاتهم الفكرية، مندفعين بدافع نفسي يهدف إلى رمي القرآن الكريم بما ثبت في كتبهم المقدّسة وديانتهم المحرّقة، محاولين الانتقاص من قدر هذا الكتاب^[٦]. فلا وجه للمقارنة بين نصوص العهد القديم والعهد الجديد، والنصّ

[١] محمّد (خليفة حسن)، دراسة القرآن الكريم عند المستشرقين في ضوء علم نقد «الكتاب المقدس»، ص ٢٩.

[٢] م. ن.، ص ٢٨.

[٣] م. ن.، ص ٢٩.

[٤] محمّد (خليفة حسن)، دراسة القرآن الكريم عند المستشرقين في ضوء علم نقد «الكتاب المقدس»، ص ١٤. بتصرف.

[٥] محمّد (خليفة حسن)، دراسة القرآن الكريم عند المستشرقين في ضوء علم نقد «الكتاب المقدس»، م. س.، ص ١٤.

[٦] الطريحي (سحر جاسم عبد المنعم الطريحي)، الدراسات القرآنية في الاستشراق الألماني، إشراف: الدكتور محمّد حسين علي الصغير، ٢٠١٢، ص ٢٨.

القرآني فيما يتعلّق بمسألة تاريخ النصّ، إذ لا توجد فترة زمنيّة فاصلة بين زمن نزول الوحي القرآني وحفظه وتدوينه، فقد استغرق نزول الوحي القرآني وحفظه وتدوينه ثلاثة وعشرين عاماً، وهي لا تمثّل تاريخاً على الإطلاق، لأنّها هي نفسها فترة نزول الوحي القرآني. وقد تمّت هذه العمليّة في ضوء وعي وإدراك إسلامي قوي بما حدث لكتب الوحي السابقة من عمليّات تحريف وتبديل وتحذير قرآني وتذكير مستمرّ بوضع التوراة والإنجيل، حتّى لا يقع المسلمون في الخطأ نفسه^[١]. وهذا الخطأ منهجي مقصود؛ لأنّ المسألة لا تنمّ عن جهل بطبيعة الإسلام، وحقيقة اختلافه عن اليهوديّة والنصرانيّة، ولكنّها مسألة تجاهل لهذه الطبيعة، لتحقيق أهداف معروفة للاستشراق العام^[٢]. والنقطة الموجهة لمدرسة النقد التاريخي هي أنّ منهج النقد التاريخي يصلح لما هو تاريخي، ولا يصلح لما هو غير تاريخي. وقد صلح هذا المنهج في تطبيقه على اليهوديّة والنصرانيّة، لأنّهما ديانتان تاريخيتان، ولا يصلح للتطبيق على الإسلام؛ لأنّ الإسلام ليس ديناً تاريخياً^[٣].

تعدّ بعض الآراء التي طرحها برجستراسر في الجزء الثالث من كتاب تاريخ القرآن، من أخطر الشبه وأشدّها فيما يتعلّق بالقراءات والمصاحف، ومن أبرز ما ذكره ما يلي:

دعوى برجستراسر بوجود أخطاء في كتابة المصحف العثماني، حيث ابتداءً الجزء الثالث بعنوان أخطاء النصّ العثماني، وهو عنوان مثير ومزعج، ويصادر النتيجة قبل البحث العلمي، وقبل إيراد الأدلّة والتحليل والمناقشة^[٤]، معتبراً بأنّ المسلمين يعترفون منذ زمن طويل بأنّ نصّ القرآن الذي أصدرته اللجنة، التي عيّنها عثمان، لم يكن كاملاً، معتمداً في ذلك على روايات واهية، بعضها غير موثّق، والآخر غير صحيح البتّة^[٥]. ممّا يدلّ على استناد برجستراسر على مبدأ التشكيك فيما هو قطعي من خلال المبالغة في إثارة الشكوك حول الوقائع التاريخيّة الثابتة

[١] محمّد (خليفة حسن)، دراسة القرآن الكريم عند المستشرقين في ضوء علم نقد «الكتاب المقدّس»، ص ١٦.

[٢] م. ن، ص ٣٠.

[٣] م. ن، ص ٣٠.

[٤] المنيع (ناصر بن محمّد بن عثمان)، المستشرق الألماني برجستراسر وآثاره في الدراسات القرآنيّة ومنهجه فيها، ص ١٤٦.

[٥] تاريخ القرآن، جزء ٣، ٤٤٣. نقلاً عن خرويات محمّد، مواقف المستشرقين من القراءات القرآنيّة من خلال «تاريخ القرآن»، لتيودور نولدكه. نشر في موقع إلكتروني: <https://vb.tafsir.net/tafsir26940/#.WaHzWfjyizc>

والصحيحة، المرتبطة بالقرآن الكريم وعلومه، من خلال عدم الثقة في صحة النصّ القرآني^[١]. مما يدلّ على انسياق برجستراسر في اتّباع منهج الشكّ والمبالغة في إثارة الشكوك حول الوقائع التاريخية الثابتة، والروايات الصحيحة المرتبطة بتاريخ القرآن وعلومه، واعتمدوا في ذلك على عمليّة الانتقاء بطريقة مغرضة وهادفة إلى ما يصبون إليه من نتائج عكسيّة، كما أنّ عدم ثقتهم في صحة النصّ القرآني دفعهم إلى الشكّ في أمانة نقله وسلامة تبليغه، إضافة إلى الشكّ في جمعه وترتيبه، وهكذا يدّعي كثير من المستشرقين أنّ النصّ القرآني الذي جاء به محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، قد نالته تعديلات بالزيادة والنقصان، خاصّة في صورته المكتوبة^[٢].

ووصف برجستراسر الخطّ الذي كتب به النصّ القرآني في المصاحف بأنّه محير وغير مكتمل، فيه نقص كبير جدّاً، وقد يكون سبباً لدخول قراءات غير معتمدة. وهذا جهل بخصيصة الخط العربي^[٣]، كما أنّ عثمان عندما نسخ المصاحف وبعث بها إلى الأمصار، أرسل مع كلّ مصحف عالماً من علماء القراءة، حتّى يتمّ أخذ القراءة من أفواه الأئمّة، وهو أكبر دليل على أنّ القراءة إنّما تعتمد على التلقّي والنقل والرواية، لا على الخط والرسم والكتابة^[٤].

أشار برجستراسر في كتابه إلى رغبة عثمان والصحابة في توحيد النصّ القرآني^[٥]، محاولاً تأكيد الطعن بسلامة النصّ القرآني من خلال البحث عن خلفيّات الإجراء المهمّ، الذي قام به عثمان بن عفان، المتمثّل بإعادة جمع القرآن، ليكون نسخة رسميّة لا يقبل معها بالاحتفاظ أو بقراءة غيرها من مصاحف الصحابة جامع القرآن^[٦].

[١] الطريحي (سحر جاسم عبد المنعم الطريحي)، الدراسات القرآنيّة في الاستشراق الألماني، إشراف الدكتور محمّد حسين علي الصغير، ٢٠١٢، ص ٢٩-٣٠. بتصرف.

[٢] نقلاً عن عزوزي حسن، مناهج المستشرقين البحثيّة في دراسة القرآن الكريم، ص ٩.

Encyclopédie de l'Islam, 2ème édition 1985, (5/405)

[٣] المنيع (ناصر بن محمّد بن عثمان)، المستشرق الألماني برجستراسر وآثاره في الدراسات القرآنيّة ومنهجه فيها، ص ١٤٩.

[٤] عزوزي (حسن)، مناهج المستشرقين البحثيّة في دراسة القرآن الكريم، ص ٤٥.

[٥] المنيع (ناصر بن محمّد بن عثمان)، المستشرق الألماني برجستراسر وآثاره في الدراسات القرآنيّة ومنهجه فيها، ص ١٥٠.

[٦] الغزالي (بشي مشتاق)، القرآن الكريم في دراسات المستشرقين، دراسة في تاريخ القرآن: نزوله وتدوينه وجمعه، دار النفائس، ط ١، ٢٠٠٨، ص ١٥٣.

فبرجستراسر حين يكرّر قضية رغبة عثمان أو الصحابة فى توحيد النصّ، فهو لا يستند إلى دليل، ذلك أنّ النصّ القرآنيّ وحيّ قطعيّ تكفّل الله بحفظه، ولو قصد عثمان توحيد النصّ لكتبت المصاحف بصورة واحدة، ولم يكن بينها اختلاف، فكتابتها على هذه الصورة المختلفة والكيفيات المتعدّدة دليل واضح على أنّ عثمان لم يعمد إلى توحيد النصّ^[١]. إضافة إلى ذلك، فخصيصة الحفظ فى الصدور التي تميّز الأمة الإسلامية، والتي تؤكّد أنّ حفظ القرآن عن ظهر قلب بالسند المتّصل إلى رسول الله ﷺ، أكبر دليل على موثوقية النصّ القرآنيّ وحفظه من كلّ زيادة أو نقصان^[٢]. إلى جانب ذلك، فقد كانت قراءة القرآن ودراسته تتمّ وفق قراءة الأمصار، ومن الطبيعيّ أن لا تكون تلك القراءات المتعدّدة والمتباعدة قراءة واحدة^[٣].

فى الفصل الثانى من الجزء الثالث لكتاب تاريخ القرآن المتعلّق بالقراءة تمّت إثارة شبهة خطيرة متواترة، ينصّ فيها على أنّ القرآن الذي هو كلام شفاهي مسموع من الوحي يخالف القرآن المكتوب الذي هو فى النصّ العثماني^[٤]، وهى محاولة استشراقية يوهّم بها أنّ المسلمين نوعان من القرآن: نوع مسموع من الوحي، تناقلت الأفواه معرفته وحفظه، وقرآن أجمعوا عليه كتب فى وقت متأخّر من الزمان يدعى نصّ عثمان، ثمّ يعود ليرتّب على كلّ ذلك أنّ القرآن المسموع لم يتحوّل إلى مركز الثقل فى النصّ القرآنيّ، بل كانت الغلبة للنصّ المكتوب، ثمّ يستشهد بأنّ عمل زيد بن ثابت اعتمد على الأصول المكتوبة فى جمع القرآن. هكذا تحوّل القرآن من النقل الشفهيّ إلى النصّ المكتوب، ولتدعيم ذلك تمّ الاستناد إلى النسخ المكتوبة، التي أرسلها عثمان إلى الأمصار، لتنشأ منها قراءات مختلفة، لتعود الدائرة إلى النقل الشفويّ لكن بصورة أخرى^[٥].

[١] القراءات القرآنية فى نظر المستشرقين والملحدّين ص ٢٠. نقلاً عن المنيع (ناصر بن محمّد بن عثمان)، المستشرق الألمانى برجستراسر وأثاره فى الدراسات القرآنية ومنهجه فيها، ص ١٥١.

[٢] عزوزي (حسن)، مناهج المستشرقين البحثية فى دراسة القرآن الكريم، ص ١٢.

[٣] الغزالي (بشي مشتاق)، القرآن الكريم فى دراسات المستشرقين، دراسة فى تاريخ القرآن: نزوله وتدوينه وجمعه، ص ١٥٣.

[٤] تاريخ القرآن، جزء ٣، ٥٥٧. نقلاً عن خرويات محمّد، مواقف المستشرقين من القراءات القرآنية من خلال «تاريخ القرآن»، لتيودور نولدكه. نشر فى موقع إلكتروني: <https://vb.tafsir.net/tafsir26940/#.WaHzWfjyizc>

[٥] تاريخ القرآن، جزء ٣، ٥٥٨-٥٥٩. نقلاً عن خرويات محمّد، مواقف المستشرقين من القراءات القرآنية من خلال «تاريخ القرآن»، لتيودور نولدكه. نشر فى موقع إلكتروني: <https://vb.tafsir.net/tafsir26940/#.WaHzWfjyizc>

لقد تبين للمستشرقين أنّ العلوم الإسلامية، وعلى رأسها العلوم القرآنية، قد استوت معالمها ومركزاتها على أساس وبناء صرح المرحلة التأسيسية في عهد الصحابة؛ من أجل ذلك تفتّت أذهان القوم على التفكير في إعادة بحث ودراسة تلك المرحلة التي يركز عليها، فوجدوا في موضوع اختلاف المصاحف الخاصة التي كانت بأيدي بعض الصحابة ميداناً يخبون فيه، ليشفعوا رغبة في صدورهم: هي زلزلة العقيدة وفتح أبواب الشكوك والارتباب، فهؤلاء المستشرقون يعرفون أنّ الشك في نصّ يوجب الشكّ في آخر، ولذلك فهم يلحّون في طلب روايات الاختلاف، وينقلونها في غير تحرّز، ويؤيّدونها غالباً، ولا يمتحنون أسانيدها، ولا يلتفتون إلى آراء علماء المسلمين فيها^[١].

يتّضح بشكل جلي، أنّ المستشرق مهما حاول أن يكون على درجة من الحيادية والتزام الموضوعية في أبحاثه القرآنية، فإنّه لن يفلح في ذلك؛ لأنّ دراسة المستشرقين في مجال القرآنيات ليست كغيرها، لا شيء إلاّ لكونها تنصبّ على موضوع يرتبط بمسألة الوحي المحمّدي، الذي لا يؤمن به الباحث الغربي، ولا يمكن أن يتعاطف مبدئياً، وبالتالي لا بدّ أن تؤثر فيه قناعاته الدينية وخلفياته الفكرية في مجال البحث. كما أنّ المسائل القرآنية ترتبط بعالم الغيب الذي ليس بمقدور الحسّ أو العقل أن يدلي بكلمة فيها إلاّ بمقدار، إذ إنّ رؤية المستشرق العقلية والمادية، لا بدّ أن تمارس نوعاً من التكسير والتجريح في حقّ القرآن الكريم وعلومه، فترطم بذلك بالبدهيّات والمسلمات^[٢]. ذلك أنّه رغم الجهود المبذولة من طرف المستشرق الألماني برجستراسر في ميدان الدراسات القرآنية، لم تخل أعماله من الشبهات والأخطاء المنهجية التي وقع فيها.

[١] عزوزي (حسن)، مناهج المستشرقين البحثية في دراسة القرآن الكريم، ص ٩.

[٢] عزوزي (حسن)، مناهج المستشرقين البحثية في دراسة القرآن الكريم، ص ٨.

خاتمة

انطلاقاً من البحث في جهود برجستراسر في القرآن الكريم، تأليفاً، وتحقيقاً، وبالنظر إلى منهجه في هذا الحقل، يمكن أن نخلص إلى ما يلي:

- اعتبار برجستراسر من المستشرقين الألمان الأكثر اهتماماً بالدراسات القرآنية، وبخاصة في مجال القراءات، والعناية بها تأليفاً وتحقيقاً.
- كان لبرجستراسر دور مهم في تقديم مجموعة من القواعد التي تساعد على نشر النصوص العربية وتحقيقها معتمداً على أصول قواعد التحقيق عند العلماء القدامى، مما يتطلب معه ضرورة اطلاع الباحثين في مجال التحقيق على منهجه والاستفادة منه.
- عمل برجستراسر على نقد طبعات القرآن الكريم، منها طبعة فلوجل، التي كشف من خلالها على مجموعة من الأخطاء التي جعلته لا يعمل بها، ودعوته في مقابل ذلك إلى اعتماد طبعة الأزهر الشريف باعتبارها أفضل الطبعات التي يمكن الرجوع إليها.
- مساهمة برجستراسر من خلال كتابة الجزء الثالث على إفادة حقل القراءات القرآنية من خلال نشر أمهات الكتب العربية.
- من المآخذ على كتاب الجزء الثالث من القرآن الكريم كونه استند بشكل كبير إلى مصادر المستشرقين، في الوقت الذي تم فيه أخذ الحيطة والحذر من المصادر العربية.
- من مكامن النقص التي تميّز عمل برجستراسر على مستوى التحقيق عدم خدمة النص من حيث تخريجه، وضبط كلماته والتعليق عليه، وشرحه، إذ يعتبر ذلك من الأسس التي تساهم في تسهيل فهم النص المحقق من طرف القارئ.
- يعتبر برجستراسر من تلامذة نولدكه متبّعاً لمنهجه في حقل الدراسات

القرآنية، الذي قوبل بالنقد، ويظهر هذا المنهج، على وجه الخصوص، من خلال تأليف كتاب الجزء الثالث لتاريخ القرآن الكريم.

• وجود علاقة وطيدة بين منهج نولدكه وتلميذه برجستراسر في الدراسات القرآنية.

• يجعل مصطلح التاريخ من القرآن وثيقة من وثائق التاريخ الإنساني، حيث ينكر هذا المنهج الوحي والنبوة والقيم الثابتة في الدين.

• وقوع برجستراسر في عدّة أخطاء بفعل منهجه، كخطأ التعميم، باعتبار أنّ ما ينطبق على الديانتين اليهودية والنصرانية، ينطبق على الإسلام.

• تعتبر بعض آراء برجستراسر في كتاب الجزء الثالث من تاريخ القرآن من أخطر الشبه في مجال القراءات والمصاحف من خلال ذكره لوجود أخطاء بالمصحف العثماني من جهة، ووصفه للخطّ الذي كتب به النصّ القرآني بصفة النقص وعدم الاكتمال.

• ضرورة أخذ الحيطة والحذر من طرف الباحثين في الدراسات الاستشرافية لتجنّب الانسياق مع بعض الشبهات الواردة في أبحاث المستشرقين، خصوصاً المرتبطة بالقرآن الكريم.

قائمة المصادر والمراجع

١. ابن خالويه، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، مكتبة المتنبي، القاهرة.
٢. بدوي (عبد الرحمان)، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، ط ٣، لبنان، ١٩٩٣.
٣. بغداد (عبد المنعم)، جهود التحقيق: الأصلة- الاستشراق- التحديث، مجلة التراث العربي، ع ٣٨، ٢٠١٨.
٤. رائد (أمير عبد الله)، المستشرقون الألمان وجهودهم تجاه المخطوطات العربية الإسلامية، مجلة كلية العلوم الإسلامية، ع (١/١٥)، مجلد ٨، ٢٠١٤.
٥. الربيع (عولمي)، المستشرقون الألمان والتراث العربي الإسلامي المخطوط بين التحقيق والتلفيق، مجلة كان التاريخية، ع ٤٠، ٢٠١٨.
٦. شتيفان (فيلد)، ملاحظات على مساهمات المستشرقين في الدراسات القرآنية.
٧. الطريحي (سحر جاسم عبد المنعم الطريحي)، الدراسات القرآنية في الاستشراق الألماني، إشراف: الدكتور محمد حسين علي الصغير، ٢٠١٢.
٨. الطناحي (محمود محمد)، مدخل إلى تاريخ نشر التراث، مكتبة الغانجي، القاهرة، ط ١، ١٩٨٤.
٩. الطيب (حديدي)، المستشرقون ومدى اقترابهم من حقيقة الإسلام، المستشرق الألماني شيخ المستشرقين «تيودور نولدكه» وكتابه تاريخ القرآن نموذجًا، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، ع ٦٤، ٢٠١٣.
١٠. عزوزي (حسن)، مناهج المستشرقين البحثية في دراسة القرآن الكريم.
١١. العقيقي (نجيب) المستشرقون، دار المعارف بمصر، ط ٣، ج ٢، ١٩٦٥ م.
١٢. الغزالي (بشي مشتاق)، القرآن الكريم في دراسات المستشرقين دراسة في تاريخ القرآن: نزوله وتدوينه وجمعه، دار النفائس، ط ١، ٢٠٠٨.
١٣. الصغير (محمد حسين علي)، المستشرقون والدراسات القرآنية، دار المؤرخ العربي، ط ١، لبنان، ١٩٩٩.

١٤. مالك (أم الفداء)، القراءات الاستشراقية لتيودور نولدكه في كتابه تاريخ القرآن، مجلة الرسالة للدراسات والبحوث الإنسانية، ع٨، مجلد ٢، ٢٠١٨.
١٥. محمد (خليفة حسن)، دراسة القرآن الكريم عند المستشرقين في ضوء علم نقد «الكتاب المقدس».
١٦. المنيع (ناصر بن محمد بن عثمان)، المستشرق الألماني برجستراسر وآثاره في الدراسات القرآنية ومنهجه فيه، مجلة العلوم التربوية والدراسات الإسلامية، مجلد ٢٢، ٢٠١٠.
١٧. المنيع (ناصر بن محمد بن عثمان)، آثار مدرسة الاستشراق الألمانية في الدراسات القرآنية، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، ع٦، ٢٠٠٩.
١٨. هارون (عبد السلام محمد)، تحقيق النصوص ونشرها، مكتبة الغانجي، القاهرة، ط١، ١٩٩٨.
١٩. المواقع الإلكترونية
٢٠. خروبات (محمد)، مواقف المستشرقين من القراءات القرآنية من خلال «تاريخ القرآن»، لتيودور نولدكه. نشر في موقع إلكتروني:

<https://vb.tafsir.net/tafsir26940.#/WaHzWfjyzc>